

Adab Al-Rafidain

https://radab.uomosul.edu.iq



The social status of slaves in the Arabian Peninsula during the Prophetic era

Abdullah Mohammed Al-Rahal
University of Idlib -/ Syria

Abdullah Hafith Alhaj Abdullah
University of Idlib / Syria

Article Information

Article History:
Received June 17, 2024
Reviewer July 16 .2024
Accepted July 21, 2024
Available Online March 1 , 2025

Keywords:
Release
humanity
Stolen
Status

Correspondence:
Abdullah Mohammed Al-Rahal
abdalla_alrahhal@idlib-university.com

Abstract

The research deals with the social status of slaves in the Arabian Peninsula from the Prophet’s mission until the end of the prophetic era (13 BC - 11 AH / 610 - 632 AD) ‘because of the importance of this aspect’ and to know the importance of the social role that slaves played After the prophetic mission compared to before it, in a period that is considered the most important in human history, which is the prophetic era, may God bless him and grant him peace. Therefore, it is necessary to highlight the extent of the oppression and persecution that the slaves suffered from.Before the prophetic mission and the social status they reached after the prophetic mission compared to before it, and the role that the Prophet, may God bless him and grant him peace, played in restoring their stolen social status and treating them as part of human society on the Arabian peninsula ; And their evaluation of society as useful and effective members who contribute to building this society that restored their stolen humanity.

The researcher divided the study into several sections, within the first section: the linguistic and terminological concept of slaves. The study also included in the second section: the role of slaves and their social status before and after the prophetic mission. Until the end of the Prophet's era He showed the clear social disparity after the prophetic mission compared to their diffcuit social reality before it ' The study also included in the third section: the social status that slaves reached under the Islamic State after its foundations were consolidated. The study also addressed in the fourth section: the impact of the emancipation of slaves in later eras .

DOI: 10.33899/radab.2024.150987.2185

المكانة الاجتماعية للعبيد في الجزيرة العربية في عصر الرسالة

عبدالله محمد الرحال* عبدالله حافظ الحاج عبدالله**

المستخلص :

يتناول البحث **المكانة الاجتماعية للعبيد في الجزيرة العربية في عصر الرسالة،** لما لهذا الجانب من أهمية، و لمعرفة أهمية الدور الاجتماعي الذي أداه العبيد بعد البعثة النبوية مقارنةً بقبلها، في حقبة تعد الأهم في تاريخ البشرية و هي عصر الرسول ﷺ لذلك لا بد من تسليط الضوء على مدى الظلم و الاضطهاد الذي عانى منه العبيد قبل البعثة النبوية و المكانة الاجتماعية التي وصلوا إليها بعد

* جامعة ادلب / سوريا
** استاذ مساعد /جامعة ادلب / سوريا

البعثة، و الدور الذي قام به النبي ﷺ في استعادة مكانتهم الاجتماعية المسلوبة و معاملتهم كجزء من المجتمع البشري في جزيرة العرب، و تقديمهم للمجتمع كأعضاء نافعين فعالين يساهمون في بناء هذا المجتمع الذي رد لهم إنسانيتهم المسلوبة .

قسَم الباحث البحث إلى عدة أجزاء ضمَنَ الجزء الأول منه المفهوم اللغوي و الاصطلاحي للعبيد، كما تناولت الدراسة في الجزء الثاني دور العبيد و مكانتهم الاجتماعية قبل البعثة النبوية و بعدها حتى نهاية العصر النبوي، و بيَن التباين الاجتماعي الواضح بعد البعثة النبوية مقارنةً بواقعهم الاجتماعي المرير قبلها، كما تناولت الدراسة في الجزء الثالث المكانة الاجتماعية التي وصل إليها العبيد في ظل الدولة الإسلامية بعد أن توطدت أركانها، و تناولت الدراسة في الجزء الرابع أثر إعتاق العبيد على العصور اللاحقة .

الكلمات المفتاحية : تحرير ، إنسانيتهم ، المسلوبة ، مكانتهم .

المقدمة :

تناولت هذه الدراسة المكانة الاجتماعية للعبيد في جزيرة العرب، في مدة زمنية تعد من أهم المدد على الإطلاق في تاريخ الدولة الإسلامية، و هي عصر الرسول ﷺ، تلك المدة التي عُدَّت لبنة الأساس الأولى للمجتمع و للدولة الإسلامية.

إذ عرفت البشرية العبودية منذ أقدم العصور، وقع على عاتقهم جميع الأعمال الوضيعة، فكانت هذه الطبقة أدنى طبقات المجتمع، إذ حرموا من الحقوق الاجتماعية و الإنسانية كافة ، و كانوا يعيشون كطبقة مهمشة ليس لها أي حقوق، مجبرة على العمل الدؤوب خلاصاً من عقاب السيد في حال قصَر العبد في عمله، بعكس الدور و المكانة الاجتماعية التي وصلوا إليها بعد بعثة النبي ﷺ فقد سعى الإسلام إلى استرداد العبيد حريتهم المسلوبة و الحفاظ على إنسانيتهم، فقد عامل الإسلام العبيد معاملة إنسانية رحيمة، فهو يدعو إلى إكرامهم و الإحسان إليهم، و يمدح الذين يبرونهم و يثني عليهم الثناء الجميل، ليس ذلك فحسب بل و دمجهم في المجتمع الإسلامي الجديد، و سعى لحصولهم على مكانة اجتماعية و دينية فاقت مكانة الأحرار، بعد أن جعل أساس التفاضل التقوى و ليس الحسب و النسب .

و تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يلقي الضوء على الواقع الاجتماعي للعبيد بعد البعثة النبوية مقارنةً بقبلها، فضلا عن انشغال معظم الدراسات و الأبحاث بتغطية موقف الإسلام من العبيد مقارنة بباقي الشعوب و الديانات، وعدم وجود دراسة متكاملة توضح سعي الإسلام لاسترداد مكانتهم الاجتماعية ضمن خطة منظمة و على عدة مراحل وصولاً للهدف المنشود ألا و هو استرداد إنسانيتهم و مكانتهم الاجتماعية المسلوبة فكان لا بد من تغطية هذه الفجوة .

أولاً : المفهوم اللغوي والاصطلاحي للعبيد:

1 – تعريف العبيد :

أ – العبيد لغة:

العبد من العبودية (يقصد به الإنسان حراً كان أو مملوكاً) لله عز و جل، و العبودية تعني الخضوع [1]، و المعروف أن العبد المملوك و العبد صفة، ويقال عبدت فلاناً و استعبدته(اتخذته عبداً)، [2]، وهناك فرق بين العبيد والعباد، فالعبيد جمع العبد من الملك، والعباد جمع العبد لله عز وجل [3]. و هذه التسمية تطلق على الذكر والأنثى من العبيد [4]. و مشتركة بين الحر والعبد (عبيداً لرب العباد) [5].

([1]) - ابن سيدة (أبو الحسن علي بن إسماعيل) : المخصص ، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1417ه، /1996م ، ج1 ، ص328 ؛ ان منظور(محمد بن مكرم بن منظور) : لسان العرب ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، د. ت ، ج15 ، ص147 ، الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني الزبيدي) : تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، بيروت، د . ت ، ج6 ، ص446؛ بشاري لطيفة : الرق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر ، 2007 م ، ص 7 – 8.

([2]) - ابن سيدة (أبو الحسن علي بن إسماعيل) : المخصص ، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1417ه، /1996م ، ج1 ، ص328 ، ان منظور(محمد بن مكرم بن منظور) : لسان العرب ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، د. ت ، ج15 ، ص147 ، الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني الزبيدي) : تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، بيروت، د . ت ، ج6 ، ص446، بشاري لطيفة : الرق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر ، 2007 م ، ص 7 – 8.

([3]) - ابن سيدة : المخصص، ج1 ، ص328 .

([4]) - ابن سيدة : المخصص ، ج1 ، ص329 ، ابن منظور(محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، ت 711هـ) : لسان العرب، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، ج1 ، ص410 ، الزبيدي : تاج العروس،ج3 ، ص86 ، ، بشاري لطيفة : الرق في بلاد المغرب، ص 7 – 8 .

([5]) - بشاري لطيفة : الرق في بلاد المغرب ، ص 7 – 8 .

و تطلق على العبيد تسمية الرقيق والرقّ مشتقة من الفعل رقّ [1]، فإذا قيل رقّ الحر فذلك يعني دخوله في الرقّ أي صار عبداً، وهنا لزم عليه ما وقع على العبد من البيع والشراء والهبة والعتق و غير ذلك من الأمور، و استرقاق الفرد أي أصبح رقيقاً، وعومل معاملة الأرقاء [2]، و يرمز الرقّ للضعف و الذل والخضوع [3]، و كلمة رقيق تطلق على الجارية و على العبد [4].

وتظهر من كلمة الرقّ مسميات كثيرة للأرقاء، فالمرأة المسترقة تسمى (أمة)، و جمعها (إماء)، أما كلمة عبد : وتعني الشخص الواحد وجمعها (عبيد)، و عبد اشتقت من العبودية، والرقّ والعبودية لهما مفاهيم لغوية ودينية وتاريخية واقتصادية واجتماعية عديدة ، تتشكل وتتكيف حسب المفهوم الذي تمثله، فكلمة عبد مثلاً هنا لها مفاهيم دينية و اجتماعية [5].

ب – العبيد اصطلاحاً :

العبودية**:** هو حرمان الشخص من حريته الطبيعية، لأي سبب من أسباب العبودية ، وهي مختلفة بحسب القوانين والأمم والديانات، وبذلك يحرم الإنسان من حريته بجعله ملكاً للغير، و الرق : أي العبودية (رق فلاناً أي صار عبداً)[6] . مما يحوله إلى ما يشبه الحيوانات أو المتاع الخاص بسيده، فيصبح من حق سيده أن يتصرف بشؤونه كما يشاء قد يبيعه أو يؤجره ... إلخ، ويتم تجريد الفرد تجريداً كاملاً من حريته المدنية فلا يجوز له إجراء أي عقد ولا يحمل أي التزام، فأمره ليس بيده، أي صيرورته تصبح ملكاً ً لغيره [7] .

العبودية والرقّ في اصطلاح الفقهاء هو: "عجز حكمي، شرع في الأصل جزاء عن الكفر، أما أنه عجز فلأنه لا يملك ما يملكه الحر من الشهادة و القضاء وغيرهما " [8]، وللعبودية أسماء أخرى كثيرة منها ما ذكر في القرآن كالرقبة والرق المملوك والأمة وملك اليمين [9] .

ثانياً: دور العبيد و مكانتهم في الحياة الاجتماعية من البعثة النبوية و بعدها حتى نهاية العصر النبوي ﷺ :

1- واقع العبيد الاجتماعي في جزيرة العرب قبيل البعثة النبوية :

اقتصرت حياة العبيد على القسوة و الاضطهاد، فهم أدنى طبقات المجتمع، محرومون من الحقوق الاجتماعية و الإنسانية كافة ، يمثلون آلات للعمل بيد أصحاب الأموال، و بالتالي كانوا فئةً مهمشةً ليس لهم فائدة سوى خدمة أسيادهم، ففي مكة المكرمة مثلاً كانت هذه الطبقة كثيرة العدد نظراً ً لأعمال أهل مكة المكرمة التجارية الواسعة، و انشغالهم بها و احتياجهم لمن يقوم على خدمتهم و العمل لصالحهم سواءً في التجارة أو الرعي أو الزراعة (مزارع ساداتهم بالطائف)[10]

([1]) - رق الشيء ، بمعنى دق ونحف ولطف ، وهو ضد غلظ وثخن . ابن منظور : لسان العرب ، ج 10 ، ص 101 ، الزبيدي: تاج العروس ، ج25 ، ص 362 .

([2]) - ابن منظور : لسان العرب ، ج 10 ، ص 124 .

([3]) - سعدي أبو حبيب : القاموس الفقهي لغةً و اصطلاحاً ، دار الفكر ، سورية ، 1419 هـ / 1998 م ، ص 151 .

([4]) – الكفومي(أبو البقاء أيوب بن موسى الكفومي) : الكليات معجم في المصطلحات الفردية واللغوية ، تحقيق : عدنان درويش و محمد المصري ، ط 2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1419 هـ / 1988 م ، ج1 ، ص475 – 476 .

([5])- فاطمة قدور الشامي : الرق والرقيق في العصور القديمة والجاهلية وصدر الإسلام ، ط1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 2009 م ، ص 21 – 22 .

([6]) الفراهيدي (الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ت 175 هـ) : كتاب العين ، تحقيق : محمد المخزومي وإبراهيم السامرائي ، مكتبة الهلال ، بيروت ، د د . ت ، ج5 ، ص24 ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ج 10 ، ص124 .

([7]) - أحمد شفيق : الرق في الإسلام ، ترجمة : أحمد زكي ، مكتبة القاهرة ، القاهرة ، 1982م ، ص 9 – 10 .

([8]) - الجرجاني (علي بن محمد بن علي الجرجاني): التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1405 هـ ، ج1 ، ص 148 .

([9]) - بشاري لطيفة بن عميرة : الرق في بلاد المغرب ، ص 7 – 8 .

([10]) - الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، دار الفكر ، القاهرة ، 1405 هـ ، 1985 م ، ص 248 – 249 ، جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط2 ، جامعة بغداد ، 1413هـ /1993م ، ج 3 ، ص 942 .

و لم يقتصر اقتناء العبيد لاستخدامهم في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية على العرب فحسب، بل كان لليهود و النصارى نصيب وافر في استغلال هذه الفئة العاملة بدون أي تكلفة و أي حقوق، و ها هو سلمان الفارسي خير مثالٍ على ذلك، فقد كان عبداً لأحد اليهود [1] .

ليس ذلك فحسب بل كانوا سلاحاً بيد ساداتهم للدفاع عنهم في الحرب والسلم في الحق والباطل، دون أي مكانة اجتماعية، يؤدون أضعاف ما عليهم من واجبات، وليس لهم أية حقوق [2].

و قد جلب أهالي جزيرة العرب كثيراً من العبيد للقيام على خدمتهم و إرضاء نوازع شهواتهم، وإذا نظرنا إلى المرأة من العبيد ما قبل الإسلام لاحظنا أنها غاية في الوضاعة، محرومة من الحقوق و الامتيازات كافة ، مثقلة بالقيود و الواجبات، ينظر إليها كأي متاع يملكه السيد ومن حقه التصرف به كيف يشاء، و كانت المرأة المسترقة معرضة لسبي جديد في أية لحظة يحدث فيها غزو بين قبيلتين، لأن أولوية الدفاع عن أعراض القبيلة مرهونة بالمرأة الحرة، و كان التسري شائعاً، و كان للسيد عدد من النساء يقترب ممن يشاء و يهجر من يشاء، و إذا توفي الوالد أو قتل، فمن حق الابن الأكبر الاستيلاء على نساء أبيه، و لا تنجو من هذه الشريعة إلا والدته [3] .

و كان أكثر العرب قبل الإسلام يُكرهون إماءهم على البغاء، و كان لهن دور و رايات يعرفن بها [4]، و كانت هذه الدور (دور البغايا) كثيرة، منها دار أبي مريم السلولي في الطائف قبل إسلامه [5] ، و ها هو أبو سفيان بن حرب قبل بعثة النبي ﷺ ينزل إلى إحدى هذه الدور في الطائف في أثناء سفره، فوقع في سمية فولدت له زياداً [6] .

و المرأة المسترقة قبل الإسلام كانت سلعة في أيدي النخاسين يبغون من ورائها الربح الوفير، ومن أجل مضاعفة الربح من ورائهن لجأ النخاسون إلى حيلٍ كثيرة ، كتغيير لون البشرة بواسطة المساحيق التي تعتمد في تركيبها على الأعشاب، و تغيير لون الشعر و تجعيده و تطويله، و غير ذلك من الأمور التي من شأنها أن تعطي جمالاً للجارية لزيادة ثمنها [7].

و الجارية قبل الإسلام تجالس الرجال و لا تحتجب، و المغنية من الجواري تبرز للرجال و لا تحتشم، و أكثر رجال قبل الإسلام ليس لديهم غيرة على الإماء، رغم أنهن أمهات الأولاد، و مع العلم أن الجواري قد نودي عليهن في الأسواق، و مرت عليهن أيدي الفساد، و رغم ذلك سعوا إلى اقتنائهن و طلب الولد منهن، و أقبل الشباب على شرائهن و التسري بهن، فكسد زواج الحرائر

([1]) - ابن هشام (عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري) : السيرة النبوية ، تحقيق : طه عبد الرؤف ، ط2 ، دار الجبل ، بيروت ، 1411هـ ، ج 2 ، ص 44 ، السمهودي (نور الدين علي) : وفا الوفا بأخبار دار المصطفى ، مطبعة الآداب ، مصر ، 1326هـ .، ج 3 ، ص 991 .

([2]) - الشريف : مكة و المدينة ، ص 249 – 251 ، الوكيل ، محمد السيد : يثرب قبل الإسلام ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، جدة ، د. ت .، ص 47 . 47

([3]) - فاطمة قدور الشامي : الرق و الرقيق ، ص 126 ، جبور عبد النور : الجواري ، دار المعارف للطباعة و النشر ، القاهرة ، د . ت ، ص 22 .

([4]) - البخاري (أبو عبدالله محمد بن إسماعيل) : صحيح البخاري ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، ط3 ، دار ابن كثير ، بيروت ، 1407 هـ / 1987 1987 م ، ج 5 ، ص 1970 ، أبو داوود(سليمان بن الأشعث السجستاني) : سنن ابي داوود، تحقيق: محمد محي الدين، دار الفكر، بيروت، د ت .، ج 2 ، ص 281 ، الترمذي (محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي) : الجامع الصحيح سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د .ت . ، ج 3 ، ص 411 ، الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) : تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك وما كان في زمن كل منهم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1407 هـ ، ج 1 ، ص 524 ، ابن عبد ربه (أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي) : العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين _أحمد الزين، سلسلة الزخارف، القاهرة، 2004م ، ج 5 ، ص 6 ، البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى) : سنن البيهقي الكبرى ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ، 1414هـ /1994م ، ج 7 ، ص 110 ، ابن عساكر(أبو القاسم علي الحسن بن هبة الله) : تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، 1995 ، ج 55 ، ص 248 ، ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي) : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، 1358هـ ، ج 17 ، ص 16 ، ابن الأثير (أبو الحسن محمد بن علي الجزري) : أُسدُ الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق :عادل أحمد الرفاعي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1417هـ / 1996 م ، ج 1 ، ص 451 .

([5]) - اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر) : تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، د.ت . ، ج 2 ، ص 219 ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، ج 19 ، ص 173 ، الشيباني (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد) : الكامل في التاريخ ، تحقيق : عبدالله القاضي ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1415 هـ ، ج 3 ، ص 300.

([6]) - اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج 2 ، ص 219 ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، ج 19 ، ص 173 ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج 5 ، ص 6 ، الشيباني : تاريخ الشيباني ، ج 3 ، ص 300 .

([7]) - فاطمة قدور الشامي : الرق و الرقيق ، ص 128 .

لغلاء مهورهن، فغلب الكساد على الحرائر مما دعا بعضهن إلى ارتكاب سبيل الغواية، و أخذت تغري الشباب بالتشبيب بها (نسج القصائد) [1] .

و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على ما وصلت إليه الجارية قبل الإسلام . و لا يستطيع أحد أن ينكر أن المرأة المسترقة استطاعت أن تثبت وجودها في كل ميدان دخلته، و لا ريب أن الإسلام عمل على دمج الرقيق عن طريق حسن المعاملة و العتق [2]، و لكنه استبقى لضرورة اقتضتها الظروف [3] .

مما تقدم نجد أن العبيد بشكلٍ عام و الجواري بشكلٍ خاص قبل الإسلام كانت سلعة ووسيلة للكسب، قدمت بعض المعارف الإيجابية من خلال ما نقلته للبيت العربي، أما آثارها السلبية فكانت كثيرة، حاول الإسلام فيما بعد تكييفها لتصبح إيجابية، فتم القضاء على عادات و مفاهيم أوجدت قيم جديدة مكانه سخرت لخدمة المجتمع العربي الإسلامي [4] .

2 - واقع العبيد الاجتماعي في جزيرة العرب بعد البعثة النبوية :

أ – سعي الإسلام لاسترداد مكانة العبيد الاجتماعية بعد انتقال الدعوة المحمدية إلى المدينة المنورة :

تغير واقع العبيد الاجتماعي في مكة المكرمة بعد البعثة مقارنة بقبلها، كما تغير وضع العبيد الاجتماعي في المدينة المنورة مقارنةً بما كان عليه في مكة المكرمة ؛ لانتقال الدعوة إلى مناخ جديد، فقد عمل النبي ﷺ حال وصوله للمدينة على توحيد المجتمع الجديد على أسس عديدة قوامها العقيدة و الإيمان، ساعياً لبناء مجتمع تكون فيه التقوى مقياساً للتفاضل ليس الحسب و النسب و العرق، فقام بتنظيم شؤون الدولة الفتية و إرساء قواعدها، فبنى المسجد لإقامة الصلاة، وولى الأذان فيه لبلال بن رباح مولى أبي بكر رضي الله عنه، و هو أول من أذن [5] .

كما سنَ النبي ﷺ نظام المؤاخاة، ذلك النظام الذي يختلف عن نظام الحلف، يتميز بسمةٍ اجتماعية من ناحية المعاقدة على الخير و نصرة الحق، لم يميّز بين حرٍ و عبدٍ و مولى، كانت هذه المؤاخاة فردية [6]، فآخى النبي ﷺ بين سعد بن أبي وقاص و عمار بن ياسر، و بين أبي الدراء و سلمان الفارسي رضي الله عنهم أجمعين، و بين علي بن أبي طالب و النبي ﷺ [7] . و هذه المؤاخاة لم تفرق بين المولى (العبد المعتَق) و الحر ، فالتفاضل للتقوى و ليس للحسب و النسب .

فالغاية من المؤاخاة لم تكن تهدف إلى جمع أكبر عدد من المسلمين، و إنما تأليف القلوب و بناء مجتمع جديد أساسه التآلف بين الناس، و إزالة التمايز بين مختلف فئاته [8] . فأي رفعة و أي مرتبة وصل لها العبيد و الموالي في عهد الدولة الإسلامية بعد خلاصهم من ظلمات الجاهلية، ولم يقتصر الأمر على الرقيق الذين شهدوا بداية الدعوة المحمدية و ناصروها بل تعداه ليشمل رقيق الفتوحات الإسلامية و المحافظة على مكانتهم الاجتماعية ، و بوصفهم جزءاً من المجتمع البشري لهم حقوق و عليهم واجبات، و يؤكد ذلك قوله تعالى : (" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ و أنثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير

([1]) - فاطمة قدور الشامي : الرق و الرقيق ، ص 137 – 138 .

([2]) - ابن هشام : السيرة النبوية ، ج 6 ، ص 26 ، ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله) : الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، د. ت ، ج 7 ، ص 42 ، البخاري : صحيح البخاري ، ج2 ، ص 894 ، مسلم (مسلم بن الحجاج أبو الحسين) : صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار احياء التراث العربي بيروت ، د . ت ، ج 2 ، ص 1147 ، أبو داوود : سنن أبي داوود ، ج 1 ، ص 310 ، ابن ماجة (أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني) : سنن ابن ماجة ، تحقيق : محمد فؤاد ، دار الفكر ، بيروت ، د. ت ، ج 2 ، ص 840 ، الترمذي : سنن الترمذي ، ج 3 ، ص 423 ، الطبري : تاريخ الطبري ، ج 4 ، ص 483 .

([3]) - البيهقي : سنن البيهقي الكبرى ، ج 7 ، ص 152 .

([4]) -عبد السلام الترمانيني : الرق ماضية و حاضرة ، مجلة المجلس الوطني للثقافة و الفنون والأدب ، الكويت ، 1978 م ، ص 57 – 58 ، فاطمة قدور الشامي : الرق و الرقيق ، ص 140

([5]) - الواقدي (أبو عبدالله محمد بن عمر الواقدي) : فتوح الشام ، دار الجيل ، بيروت ، د . ت ، ج 2 ، ص 20 ، ابن هشام : السيرة النبوية ، ج 3 ، ص 38 ، مسلم : صحيح مسلم ، ج 1 ، ص 431 ، أبو داوود : سنن أبي داوود ، ج 3 ، ص 171 ، ابن ماجة : سنن ابن ماجة ، ج 1 ، ص 234 ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج 6 ، ص 99 ، -ابن حبان التميمي (محمد بن حبان بن أحمد) : صحيح ابن حبان ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1415 هـ / 1993 م ، ج 4 ، ص 574 ، البيهقي : سنن البيهقي الكبرى ، ج 1 ، ص 393 ، ابن الجوزي : المنتظم ، ج 3 ، ص 172 ، ابن الأثير : أسد الغابة ، ج 2 ، ص 358 ، الشيباني : الكامل في التاريخ ، ج 9 ، ص 234 .

([6]) - ابن هشام : السيرة النبوية ، ج 3 ، ص 36 ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج 3 ، ص 584 ، أبو داوود : سنن أبي داوود ، ج 4 ، ص 273 ، ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، ج 30 ، ص 94 ، ابن الجوزي : المنتظم ، ج 3 ، ص 70 ، ابن الأثير : أسد الغابة ، ج 2 ، ص 331 ، الحلبي (علي بن برهان الدين) : السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون، دار المعرفة، بيروت، 1400 ه /1980م ، ج2 ، ص 181 .

([7]) - ابن الأثير : أسد الغابة ، ج 2 ، ص 331 .

([8]) - ناصر مكارم الشيرازي : الإسلام وتحرير العبيد ، ط1 ، دار النبلاء ، بيروت ، 1415 هـ / 1995 م ، ص 15 – 16 .

") [1]، و عمل النبي ﷺ على الرفق بهم و مداراتهم إلى حد جعلهم شركاء مساهمين في حياة و معيشة ساداتهم، و يؤكد ذلك قول النبي ﷺ : (من كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل و ليلبسه مما يلبس ، و لا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم) [2] .

.

و ورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال لخادمه قنبر :" أنا أستحي من ربي أن أتفاضل عليك، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : أطعموهم مما تأكلون و ألبسوهم مما تلبسون " [3] .

و ها هو عمار بن ياسر مولى بني مخزوم رضي الله عنه كان يحمل لبنات من الطوب لبناء المسجد النبوي، أكثر مما يحمل الصحابة، فجعل النبي ﷺ ينفض التراب عن رأسه و يقول له : " ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية " و بالفعل استشهد عمار بن ياسر يوم صفين [4] . وبذلك كان منارة لتحديد الفئة الباغية :(جيش معاوية حسب حديث النبي ﷺ) و القضاء على الصراع العسكري بين جيشي المسلمين (جيش معاوية و جيش علي بن أبي طالب كرم الله وجهه " الخليفة و الجيش الشرعي ") لمن اهتدى بهدي النبي ﷺ .

و اخيراً من هذا كله أنه لشرف عظيم، شرف عسكري و ديني أعطاه رسول الله ﷺ لابن سمية حين قال : " إذا اختلف الناس ابن سمية مع الحق " [5]، و ها هو النبي ﷺ يقول : سلمان سابق الفرس و بلال سابق الحبشة [6]، فأي منزلةٍ حظي بها العبيد و و الموالي حتى نالوا هذه المكانة الاجتماعية و الدينية عند النبي ﷺ و أصحابه رضي الله عنهم ؟، و الأمثلة كثيرة لما وصل إليه العبيد و الموالي بعد بعثة النبي ﷺ [7] .

ب - سعي الإسلام لتحرير العبيد و مساواتهم بالأحرار بعد توطيد أركان الدولة الإسلامية :

بعد أن وطد النبي ﷺ أركان الدولة الإسلامية انتقل في قضية العبيد من الحض على التحرير، إلى الوجوب و الفرض بعد أن اشتد ساعد الدولة الإسلامية، ففرض أحكاماً جديدة لم تكن من ذي قبل في بداية دعوة النبي ﷺ سعيا لتحرير العبيد منها:

1- مساواة العبد بالسيد وتطبيق القصاص على السيد :

سعى الإسلام لتحرير العبيد و مساواتهم بالأحرار من خلال تطبيق القصاص على السيد إذا ما آذى عبده أو جاريته سواءً كان هذا الإيذاء بدنياً أو معنوياً، و لم يقبل العبد أو الجارية بالعفو أو التعويض، فكان لا بد من القصاص من السيد استنادا إلى قوله تعالى : (" و كَتَبنا عليهِم فيها أَنَّ النَفسَ بالنفسِ و العينَ بالعينِ و الأنفَ بالأنفِ و الأُذُنَ بالأُذُنِ و السنَ بالسنِ و الجُروحَ قِصاصٌ فَمن تَصَدَقَ بِهِ فَهو كفارةٌ لَهُ وَ مَن لم يحكُم بما أَنزلَ اللهُ فأُولئكَ هُم الظالِمون ") [8].

([1]) - سورة الحجرات ، الآية 13 .

([2]) - البخاري : صحيح البخاري ، ج 1 ، ص 20 ، مسلم : صحيح مسلم ، ج 3 ، ص 1282 ، البيهقي : معرفة السنن و الآثار عن الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق : سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت ، ج 6 ، ص 127 ، ناصر مكارم الشيرازي : الإسلام و تحرير العبيد ، ص 15 – 16 .

([3]) - ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج 2 ، ص 185 ، أحمد بن حنبل (أبو عبدالله الشيباني) : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، د.ت ، ج 4 ، ص 35 ، مسلم : صحيح مسلم ، ج 4 ، 2303 ، أبو داوود : سنن أبي داوود ، ج 4 ، ص 341 ، ابن ماجة : سنن ابن ماجة ، ج 2 ، ص 1216 ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج 2 ، ص 111 ، البيهقي : سنن البيهقي الكبرى ، ج 8 ، ص 8 ، ابن الأثير : أسد الغابة ، ج 5 ، ص 497 .

([4]) - ابن هشام : السيرة النبوية ، ج 3 ، ص 25 ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج 1 ، ص 240 ، مسلم : صحيح ، ج 4 ، ص 2236 ، الطبري : : تاريخ الطبري ، ج 5 ، ص 622 ، البيهقي : سنن البيهقي الكبرى ، ج 8 ، ص 189 ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، ج 13 ، ص 9 ، ابن الجوزي : المنتظم ، ج 13 ، ص 110.

([5]) - - ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر) : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، د . ت ، ج 6 ، ص 214 الطبري : تاريخ الطبري ، ج 5 ، ص 622 .

([6]) - ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني) : الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : محمد علي البجاوي ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1412هـ /1992 م ، ج 6 ، ص 57 .

([7]) - ناصر مكارم الشيرازي : الإسلام و تحرير العبيد ، ص 15 – 17 .

([8]) - سورة المائدة : الآية 45 .

عملاً بحديث النبي ﷺ، الذي قال فيه : " من قتل عبده قتلناه، و من جدع عبده جدعناه ، و من خصى عبده خصيناه " [1] . و بذلك و استناداً إلى الآية الكريمة و حديث النبي ﷺ، فالحر يقتل قصاصاً إذا قتل عبداً و كان القتل عمداً، و يُقتص منه إذا قطع جزءًا من جسم العبد ، كجدع الأنف أو الأذن أو اليد أو الشفة .....إلخ، و لا ينطبق ذلك على السيد فحسب، بل يشمل القصاص أي شخص قد يقتل أو يتسبب بالأذى لأي عبد، فلا بد من محاسبة الجاني بأن يقتص العبد من الحر [2] .

كما حرم الإسلام في نص الحديث خصي العبيد، تلك العادة التي سادت عند بعض الأمم و الشعوب السابقة للإسلام، ليس ذلك فحسب بل نص الإسلام على خصي السيد إن تجرأ على إزالة خصيتي العبد المسكين، فأوجب الإسلام على السيد تحرير العبد إن لم يرضَ بالقصاص

و لم يقتصر القصاص على السيد فحسب بل شمل ذويه، فإن ضرب ابن السيد مملوك أبيه أو أَمَته أو جرحه أوجب الإسلام القصاص منه، فإن أبى القصاص يحرر المجني عليه عقاباً للسيد الذي لم يحسن تربية ولده و رعاية عبده، و الأدلة كثيرةٌ منها ما حدث مع سويد بن مقرن [3]، إن رجلاً لطم جارية لآل سويد ، فقال له سويد : أما علمت أن الصورة محرمة، لقد رأيتني سابع سبعةٍ مع إخوتي و ما لنا إلا خادمٌ واحد ، فلطمه أحدنا ، فأمرنا النبي ﷺ أن نعتقه [4] . وورد أن معاوية بن سويد بن مقرن لطم مولى لأبيه ، فدعاه ودعا أباه ابن سويد و طلب من العبد أن يقتص منه [5] .

و لم يكتفِ الإسلام بالقصاص من السيد و ذويه فحسب بل ذكَّرَهم النبي ﷺ، بنعمة الله عليهم إذ جعلهم أحرارا و غيرهم مبتلى بالرق إلى حين، فقال : " إن الله ملككم إياهم و لو شاء لملكهم إياكم " [6]، فلتحمدوا النعمة أيها الأحرار، و تحسنوا إليهم، و إلا أذاقكم الله عذاب الرق في الدنيا و عذاباً مهيناً في الآخرة، و يؤكد ذلك قوله تعالى : (" و اعبُدُوا اللهَ ولا تُشْرِكوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالوالديْنِ إحسانا وَ بِذي القُربى وَ اليَتامى وَ المَساكينَ و الجارِ ذي القُربى و َالجارِ الجُنُب وَ الصاحِبِ بالجُنُبِ وَ ابنِ السَبيْلِ وَ ما مَلكت أيمانُكُم إنَّ اللهَ لا يُحِبُ مَنْ كانَ مختالاً فَخورا ") [7] .

ليس ذلك فحسب بل حرمت رائحة الجنة على السيد الذي يسيء لمن تحت يده دون طلب العفو منه، و يؤكد ذلك حديث النبي ﷺ بقوله : " لا يدخل الجنة سيء الملكة " [8] .

أما بالنسبة للقصاص من السيد إن قذف مملوكه فلم يقتصر على الدنيا فحسب، بل تعداه إلى الآخرة، فقال النبي ﷺ : " من قذف مملوكه بالزنا أقيم عليه الحد يوم القيامة ثمانين جلدة "، أي إذا رمى السيد مملوكه بالزنا، و لم يقتص منه في الدنيا، فإن الله يطبق على السيد المفتري حد القذف يوم القيامة ثمانين جلدة [9]، و وجد الإسلام للسيد سبيلاً للخلاص من القصاص إن لم يطعه العبد، ألا و هو بيع العبد و عدم تعذيبه، و يؤكد ذلك قول النبي ﷺ : " من لا يلائمكم من خدمكم فأطعموهم مما تأكلون و اكسوهم مما تكتسون، و من لا يلائمكم، فبيعوه و لا تعذبوا خلق الله عز وجل " [10] .

نستنتج مما تقدم أن الإسلام سعى لتحرير العبيد و الحفاظ على حقوقهم، و مساواتهم بالأحرار، و القصاص لهم ممن يظلمهم تمهيداً منه لتحريرهم بعد أن وطّد أركان الدولة الإسلامية الناشئة .

2 - مساواة الجارية بالحرة و إباحة الزواج منها:

([1]) - أحمد بن حنبل : مسند أحمد بن حنبل ، ج5 ، ص 10 ، الدرامي (عبدالله بن عبد الرحمن الدرامي) : سنن الدرامي ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي وخالد السبع ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1407 هـ ، ج2 ، ص 250 ، أبو داوود : سنن أبي داوود ، ج4 ، ص176 ، ابن ماجة : سنن ابن ماجة ، ج2 ، ص888 ، الترمذي : سنن الترمذي ، ج4 ، ص 176 ، البيهقي : سنن البيهقي ، ج8 ، ص 35 .

([2]) - أبو داوود : سنن أبي داوود ، ج4 ، ص176-177 ، الترمذي : سنن الترمذي ، ج4 ، ص26 – 27 .

([3]) - سويد بن مقرن ، و يكنى أبا عدي . ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج6 ، ص 19 .

([4]) - أحمد بن حنبل : مسند أحمد بن حنبل ، ج3 ، ص 447 ، البيهقي : سنن البيهقي الكبرى ، ج 8 ، ص 18 .

([5]) - أبو داوود : سنن أبي داوود ، ج 4 ، ص 342 .

([6]) – الأنصاري(جمال الدين ابن هشام الأنصاري) : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط5 ، 1399هـ / / 1979 م ، ج 1 ، ص 97 .

([7]) - سورة النساء ، الآية 36 -37 .

([8]) -أحمد بن حنبل : مسند أحمد بن حنبل ، ج 1 ، ص 12 ، ابن ماجة : سنن ابن ماجة ، ج 2 ، ص 1217 ، الترمذي : سنن الترمذي ، ج 4 ، ص ص 334 ، ابن أبي عاصم (محمد بن أبي عاصم) : الزهد ، تحقيق : عبد العلي عبد الحميد حامد ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، 1408 هـ ، ج1 ، ص 136.

([9]) - البيهقي : الآداب للبيهقي ، عالم الكتب ، بيروت ، د . ت ، ج1 ، ص 67 .

([10]) - أحمد بن حنبل : مسند أحمد بن حنبل ، ج 5 ، ص 168 ، أبو داوود : سنن أبي داوود ، ج4 ، ص 340 ، البيهقي : سنن البيهقي الكبرى ، ج8 ، ص 7.

يعدُّ الزواج من الجواري من أهم الأمور التي سعى الإسلام من خلالها لتحرير العبيد، فزواج الحر من الجارية و زواج العبد من المرأة الحرة حطم قيود العصبية و الاستعلاء و التفاخر بالأنساب، و من مفاخر الإسلام العظيمة أنه أباح زواج الأحرار من الرقيق، و الدليل على ذلك قوله تعالى : (" و أَنْكِحُوا الأَيامى مِنْكُم وَ الصالِحينَ مِن عِبادِكُم وَ إمائِكُم إن يَكونوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللهُ من فَضْلِهِ و اللهُ واسعٌ عَليمٌ ") [1] .

و نرى تطبيقاً عملياً بهذا الخصوص من النبي ﷺ و أصحابه، فها هو النبي ﷺ يُؤدي عن جويرية بنت الحارث زعيم بني المصطلق مكاتبتها و يتزوجها [2]، و زوج النبي ﷺ ابنة عمته زينب بنت جحش لمولاه زيد بن حارثة [3]، و بعد طلاقها من زيد تزوجها النبي ﷺ، و فيها أنزل الله تعالى : (" فَلَمَّا قَضَى زَيدٌ مِّنها وَطَرَاً زَوَّجناكَها لِكَي لا يَكُونَ عَلى المُؤمِنينَ حَرَجٌ في أَزواجِ أَدعِيآئِهِم إذا قَضوا مِنهُنَّ وطراً و كانَ أَمرُ اللهِ مَفعولا ") [4].

وفي موقف آخر نرى النبي ﷺ ينصح فاطمة بنت قيس القرشية الحسيبة النسيبة بالزواج من مولاه أسامة بن زيد، و فضله على خاطبيها الآخرين الأحرار معاوية بن أبي سفيان و غيره [5]،كما أن " بلالاً نكح هالة بنت عوف أخت عبد الرحمن بن عوف " [6] .

و اهتدى صحابة رسول الله ﷺ بهديه فأنكحوا المولى المسلم و فضلوه على أصحاب الحسب و النسب من غير المسلمين تطبيقاً لكتاب الله و سنة نبيه ﷺ [7] . كما " تبنى أبو حذيفة بن عتبة سالماً و أنكحه ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة ، و هو مولى لامرأة من الأنصار " [8] .

وما النبي ﷺ و أصحابه إلا منفذون لأوامر و نواهي الله عز وجل، كما جاء في القرآن الكريم نصاً صريحاً يحض على أن الزواج من جارية مؤمنة خيرٌ من الزواج من حرةٍ كافرةٍ، و كذلك فإن عبداً مؤمناً خيرٌ و أفضل عند الله من مشرك ، و يؤكد ذلك قوله تعالى : " و لا تَنكِحوا المُشركاتِ حتى يُؤمنَّ ، و لأَمةٌ مُؤمنةٌ خَيرٌ مِن مُشركةٍ وَ لو أعجَبَتْكُم و لا تُنكِحوا المُشرِكينَ حَتى يُؤمِنوا وَ لَعَبدٌ مُؤمنٌ خيرٌ مِن مُشركٍ وَ لو أعجَبَكُم [9] .

و قد عالجت هذه الآية خطأ عبدالله بن رواحة رضي الله عنه، على جارية له غضب يوماً فلطمها، ثم فزع فأتى النبي ﷺ و أخبره، فسأله النبي ﷺ عن أحوالها، فأجاب قائلاً:" تصوم و تصلي و تحسن الوضوء، و تشهد أن لا إله إلا الله و أنك رسول الله، فقال النبي ﷺ معاتباً : يا عبدالله هذه مؤمنة، فقال عبدالله : و الذي بعثك بالحق لأعتقها و أتزوجها، فعاتبه نفرٌ من المسلمين منتقدين فعلته، وقد كانوا لا يزالون حديثي عهد بالإسلام، يأنفون الزواج من الإماء " ، فأنزل الله تعالى هذه الآية [10] .

و لم يكتف النبي ﷺ بالإحسان إلى العبيد، بل أوصى بهم قبل موته، فكانت آخر وصاياه عليه الصلاة و السلام : " الصلاة الصلاة و ما ملكت أيمانكم " [11] . لتكون هذه الوصية سنة محمدية بالإحسان و الرفق بالعبيد و السعي لتحرير آخر عبد .

ثالثاً: المكانة الاجتماعية التي وصل إليها العبيد في ظل الدولة الإسلامية :

([1]) - سورة النور ، الآية 32 .

([2]) - ابن إسحاق (محمد بن إسحاق بن يسار) : سيرة ابن إسحاق ، تحقيق : محمد حميد الله ، معهد الدراسات ولأبحاث للتعريف ، د . ت ، ج5 ، ص 245 ، الواقدي : كتاب المغازي، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1442هـ /2004م ، ج1 ، ص 347 – 348 ، ابن هشام : السيرة النبوية ، ج 4 ، ص 258 ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج2 ، ص 64 .

([3]) - مجاهد (مجاهد بن جبر المخزومي) : تفسير مجاهد ، تحقيق : عبدالرحمن الظاهر ، دار المنشورات العلمية ، بيروت ، د . ت ، ج 2، ص 517 ، ابن هشام : السيرة النبوية ، ج 6 ، ص 58 ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج 3 ، ص 42 ، البخاري : صحيح البخاري ، ج 4 ، ص 1797 .

([4]) - سورة الأحزاب ، الآية 37 .

([5]) - مالك (مالك بن أنس) : موطأ مالك ، تحقيق : محمد عبدالباقي ، دار احياء التراث العربي ، القاهرة ، د . ت ، ج 2 ، ص 580 ، أحمد بن حنبل : مسند أحمد بن حنبل ، ج 6 ، ص 412 ، الدرامي : سنن الدرامي ، ج 2 ، ص 182 .

([6]) - ابن حجر : تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير ، تحقيق : عبدالله هاشم اليماني المدني ، دار نشر المدينة المنورة ، السعودية ، 1384 هـ / 1964 م ، ج 3 ، ص 165 .

([7]) – الصنعاني (محمد بن إسماعيل الصنعاني) : سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، تحقيق : محمد عبد العزيز الخولي ، ط 4 ، دار إحياء التراث العرب ، بيروت ، 1379 هـ ، ج3 ، ص 130 .

([8]) - البخاري : صحيح البخاري ، ج 4 ، ص 1469 ، أبو داوود : سنن أبي داوود ، ج 2 ، ص 223 ، البيهقي : سنن البيهقي الكبرى ، ج 6 ، ص 263 ، ابن الأثير : أسد الغابة ، ج 7 ، ص 319 .

([9]) - سورة البقرة ، الآية ، 221 .

([10]) - ابن حجر : العجاب في بيان الأسباب ، تحقيق : عبد الحكيم محمد الأنيس ، ط 1 ، دار ابن الجوزي ، السعودية ، 1418 هـ / 1997 م ، ج1 ، ص 551 .

([11]) - أحمد بن حنبل : مسند أحمد بن حنبل ، ج 6 ، ص 311 ، ابن ماجة : سنن ابن ماجة ، ج 1 ، ص 519 ، ابن حبان : صحيح ابن حبان ، ج 14 ، ص 571 ، البيهقي : سنن البيهقي الكبرى ، ج 8 ، ص 11 .

فقد عامل الإسلام العبيد معاملة إنسانية رحيمة، فهو يدعو إلى إكرامهم و الإحسان إليهم، و يمدح الذين يبرونهم و يثني عليهم الثناء الجميل [1]، و لما كان الإسلام غرضه إنصاف المظلوم، و هداية الضال، و إخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، و السعي لنشر الرحمة و العدالة، فقد عامل النبي ﷺ و المسلمون من بعده من فقد حريته معاملة إنسانية كان لها نتائج إيجابية واضحة على المجتمع الإسلامي ككل، فقد آمن العبيد و الموالي بالدعوة المحمدية باكراً، و استنشقوا فيها رائحة الحرية منذ بدايتها، و كانوا يسعون لاسترجاع شخصيتهم الاجتماعية في ظل هذا الدين، وبعد أن كانوا يباعون و يشترون كأية سلعة تباع و تشترى، و يعاملون كالحيوانات، مجردين من إنسانيتهم، و ليس لديهم الحق حتى في الدفاع عن أنفسهم، بل العبد نفسه للضرب و الأذى بكل صمت و ذل و هوان، و ليس ذلك فحسب بل كانت بعض المجتمعات تجد قتل العبد أمراً طبيعياً دون أية قيود، و لا تضع فوارق بينهم و بين الحيوانات [2] .

فبدأ الإسلام بإصلاحات واسعة في قضية العبيد كما لاحظنا، تلك القضية التي لم يكن لها أنصار و مؤيدون في ذلك الوقت، و جعل ميزان التفاضل (التقوى) و الفضائل الإنسانية الأخرى ، و يؤكد ذلك قوله تعالى: (" يا أَيُها الناسُ إنّا خَلَقناكُم مِن ذَكَرٍ وَ أنثى وَ جَعَلناكُم شُعوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارفوا إنَّ أكرَمَكُم عِندَ اللهِ أتقاكُم إنَ اللهَ عليمٌ خبيرٌ") [3] .

فبعد جهود الإسلام لمحاربة نظام العبودية (بأن قلص جميع روافده و أبقى على رافدٍ وحيد و هو الحرب المشروعة) و سعيه لدمجهم في المجتمع الإسلامي كفئة فعالة لها حقوق و عليها واجبات، فتغيَّر واقعهم الاجتماعي و حفظت حقوقهم و رُدَت لهُم إنسانيتهم المسلوبة مقارنةً بواقعهم قبل الهجرة [4]،رغم تزايد أعداد السبي بعد الفتوحات الإسلامية في العصر الراشدي [5] .

كما زوج النبي ﷺ ابنة عمته زينب بنت جحش لمولاه زيد بن حارثة [6] . و كلفه النبي ﷺ أن يكون أميراً لعدة سرايا (سبع سرايا) أبرزها القردة [7]، و آخر غزواته سنة ست للهجرة، فقد وقف النبي ﷺ مع الناس و قال ﷺ: زيد بن حارثة أميركم ، فإذا قتل فجعفر بن أبي طالب ......إلخ [8]، و هو الصحابي الوحيد الذي ذكر اسمه صريحاً في كتاب الله [9] . فأية مكانة اجتماعية و دينية حظي بها زيد بن حارثة في ظل الإسلام ؟ [10] .

و لنأخذ مثالاً آخر من بستان النبوة عن المكانة التي حظي بها العبيد و الموالي في ظل الإسلام، فأي فخر أعظم للعبيد و الموالي من قول النبي ﷺ بسلمان الفارسي: " سلمان منا آل البيت " [11]، فأية مكانة اجتماعية و دينية وصل إليها هذا العبد الفقير ليجتمع المهاجرون و الأنصار و كلٌ منهم يقول: سلمان منا، حتى حل بينهم النبي ﷺ الخلاف، و قال: " سلمان منا آل البيت " [12] . و الأمثلة كثيرة على ذلك .

رابعاً : أثر إعتاق العبيد على الحياة الاجتماعية في العصور اللاحقة:

الأمثلة كثيرة عن المكانة الاجتماعية و الدينية التي وصل إليها العبيد و الموالي بعد بعثة النبي ﷺ، فمنهم من كانوا الجسور التي ساهمت في نقل رواية الحديث الشريف و الفقه و نشر العلم للعصور التي تلت عصر النبوة، فقد عاصروا النبي ﷺ في طفولتهم و تشربوا سنته من أصحابه في ريعان شبابهم و خير مثالٍ على ذلك دورهم في العصر الأموي، و كما هو معلوم أن أحاديث النبي ﷺ لا تأخذ إلا عن ثقات، فأية مكانة اجتماعية و دينية وصلوا إليها حتى أصبحوا رواة للأحاديث عن الصحابة عن النبي ﷺ [13] .

---

(1) - سيد سابق: فقه السنة ، ط 3 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1397 هـ / 1977 م ، ج 2 ، ص 686 .

(2) - ناصر مكارم الشيرازي : الإسلام و تحرير العبيد ، ص 8 – 9 .

(3) - سورة الحجرات ، الآية 13 .

(4) - ناصر مكارم الشيرازي : الإسلام و تحرير العبيد ، ص 8 – 9 .

(5) – الواقدي : المغازي ، ج2 ، ص 477 .

(6) - مجاهد : تفسير مجاهد ، ج 2، ص 517 ، ابن هشام : السيرة النبوية ، ج 6 ، ص 58 ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج 3 ، ص 42 ، البخاري : صحيح البخاري ، ج 4 ، ص 1797.

(7) - المغازي : الواقدي ، ج 1 ، ص 12 ، ابن هشام : السيرة النبوية ، ج 6 ، ص 19 ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج 2 ، ص 36 ، الطبري : تاريخ الطبري ، ج 2 ، ص 54 .

(8) - الواقدي : المغازي ، ج 2 ، ص 207 ، ابن هشام : السيرة النبوية ، ج5 ، ص 22 ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج 3 ، ص 44 ، البخاري : صحيح البخاري ، ج 4 ، ص 1554 ، مسلم : صحيح مسلم ، ج 3 ، ص 1374 ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج 2 ، ص 65 ، الطبري : تاريخ الطبري ، ج 2 ، ص 152 .

9 - انظر سورة الأحزاب ، الآية 37 .

(10) - الواقدي : المغازي ، ج 2 ، ص 480 .

(11) - الواقدي : المغازي ، ج 1 ، ص 383 ، ابن هشام : السيرة النبوية ، ج 1 ، ص 192 ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، ج 4 ، ص 270 ، ابن الأثير : أسد الغابة ، ج 2 ، ص 492 .

(12) - ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج 4 ، ص 83 ، الطبري : تاريخ الطبري ، ج 2 ، ص 91 ، الشيباني : الكامل في التاريخ ، ج 2 ، ص 70 .

(13) - انظر : هند يوسف مجيد : الإسهامات الفكرية للموالي ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، العدد 9 ، 2007 م ، ص 341 – 354 .

فأي مكانة اجتماعية و دينية وصل لها العبيد و الموالي في ظل الدولة الإسلامية أعظم من هذه المكانة، بعد أن كانوا مسلوبي أبسط الحقوق، و يعاملون كالمتاع و البهائم ؟؟؟؟.

الخاتمة :

مما تقدم نلاحظ المكانة الاجتماعية التي وصل إليها العبيد بعد البعثة النبوية مقارنة بما كانت عليه قبل بعثة النبي ﷺ، و بيَنا سبب ذلك بأنه يعود لسعي الإسلام لتغير واقعهم الاجتماعي و سعياً منه لاسترداد إنسانيتهم المسلوبة، فبعد أن كان العبيد مجبرين قبل البعثة النبوية على القيام الأعمال الاجتماعية كافة الموكلة إليهم من قبل ساداتهم قسراً، دون أدنى الحقوق و تقع على عاتقهم كل الواجبات، و قد تغير هذا الواقع بعد بعثة النبي ﷺ بأن حفظ لهم الإسلام كرامتهم و إنسانيتهم، فأصبحت جميع الأعمال التي يقومون بها في المجالات كافة نابعة من رغبتهم بالمساهمة مع النبي ﷺ و الصحابة في بناء هذا المجتمع الذي وجدوا فيه بريق الأمل للخلاص من واقعهم المرير، فكان لهم دور فعال في الوقوف مع النبي ﷺ و أصحابه في بناء هذا المجتمع الإسلامي المتماسك القائم على أساس التقوى و ليس على الحسب و النسب كما كان سائداً قبل البعثة النبوية، ناهيك عن مساهمتهم في نقل خبرات بلادهم العسكرية و السياسية و الاقتصادية التي كان لها شأن كبير في دعم هذا المجتمع عسكرياً و اقتصادياً، مما انعكس إيجاباً على الحياة الاجتماعية للأمة الإسلامية .

First: Primary sources:

1- The Holy Quran.

2-Ibn al-Atheer :(Abu Al-Hasan Ali Ibn Muhammad Al-Jazari ' dead in 630 AH): The Lion of the Jungle in the Knowledge of the Companions' investigation : Adel Ahmed Al-Rifai; first edition; House of Arabic Heritage Revival; Beirut 1417 AH / 1996 AD.

3- Ahmed Ibn Hanbal (Abu Abdullah Al-Shaybani, dead in 241 AH) Musnad of Imam Ahmad Ibn Hanbal, Cordoba Foundation, Cairo, undated.

4- Ibn Ishaq (Muhammad Ibn Ishaq Ibn Yasar' dead in 151 AH): Biography of Ibn Ishaq' inestigation: Muhammad Hamidullah 'Institute of Studies and Research for Definition' undated.

5- Al-Ansari (Jamal al-Din Ibn Hisham al-Ansari, dead in 761 AH): He explained the paths to the Alfiya of Ibn Malik, investigation: Muhammad Muhyi al-Din Abdul Hamid, 5th edition, 1399 AH/1979 AD.

6- Al-Bukhari: (Abu Abdullah Muhammad Ibn Ismail, dead in 256 AH) Sahih Al-Bukhari, investigation : Mustafa Deeb Al-Bagha, 3th edition, Dar Ibn Kathir, Beirut, 1407 AH/1987 AD.

7- Al-Bayhaqi (Ahmed Ibn Hussein Ibn Ali Ibn Musa Abu Bakr Al-Bayhaqi, dead in 458 AH):

A- Great Sunanh of al-Bayhaqi , investigation: Muhammad Abd al-Qadir Atta, House of al-Baz Library, Makkah al-Mukarramah, 1414 AH / 1994 AD.

B- Literature of Al-Bayhaqi, The World of Books, Beirut, undated.

C- Knowing the Sunnahs and narrations on the authority of Imam Abu Abdullah Muhammad Ibn Idris Al-Shafi'i, investigation: Sayyed Kasravi Hassan, House of Scientific Books, Beirut, undated.

8- Al-Tirmidhi (Muhammad bin Issa Abu Issa Al-Tirmidhi Al-Sulami' dead in 279 AH): Al-Jami' Al-Sahih Sunan of Al-Tirmidhi, investigation: Ahmed Muhammad Shaker and others, House of Arabic Heritage Revival, Beirut, undated.

9- Al-Jurjani: (Ali bin Muhammad bin Ali Al-Jurjani, dead in 816 AH): Definitions, investigation: Ibrahim Al-Abiyari, first edition, House of Arabic Book, Beirut, 1405 AH.

10- Ibn al-Jawzi (Abdul Rahman bin Ali bin Muhammad al-Jawzi, dead in 597 AH):

A- Al-Muntazam in history of Kings and Nations, first edition, Dar Sader, Beirut, 1358 AH.

B-The Characteristics of the Elite, investigation: Muhammad Fakhoury, 2th edition, House of Knowledge, Beirut, 1979 AH.

11- Ibn Hibban Al-Tamimi (Muhammad bin Hibban bin Ahmad Abu Hatim Al-Tamimi Al-Basti, dead in 354 AH): Sahih Ibn Hibban, ivestigation: Shuaib Al-Arnaout, 2th edition, Al-Resala Foundation, Beirut, 1415 AH / 1993 AD.

12- Ibn Hajar Al-Asqalani (Ahmad bin Ali bin Hajar Al-Asqalani Al-Shafi'i, dead in 852 AH):

A- The illness in distinguishing between the Companions, investigation: Muhammad Ali Al-Bahawi, first edition, House of the mountain, Beirut, 1412 AH / 1992 AD.
B- Al-Habir's summary of the hadiths of Al-Rafi'i Al-Kabeer, investigation: Abdullah Ham Al-Yamani Al-Madani, Medina Publishing House, Saudi Arabia, 1384 AH / 1964 AD.
C- Tahdheeb al-Tahdheeb, first edition, Dar Al-Fikr, Beirut, 1404 AH / 1984 AD.
D _ Al-Ijab in Explaining the Reasons, investigation: Abdul Hakim Muhammad Al-Anis, first edition, Dar Ibn Al-Jawzi, Saudi Arabia, 1418 AH / 1997 AD..
13: Al-Halabi: (Ali bin Burhan al-Din, dead in 1044 AH): The Aleppo biography in the biography of al-Amin and al-Ma'mun, House of Knowledge, Beirut, 1400 AH/1980 AD.
14- Abu Dawud al-Sijistani (Suleiman bin al-Ash'ath Abu Dawud al-Sijistani al-Azhari, dead in 275 AH): Sunnah of Abu Dawud, investigation: Muhammad Mohi al-Din, Dar al-Fikr, Beirut, undated.
15- Al-Darami (Abdullah bin Abdul-Rahman Al-Darami, dead in 255 AH) Sunnah of Al-Darami, investigation: Fawaz Ahmad Zamirli and Khaled Al-Saba', first edition, House of Arabic Book, Beirut, 1407 AH.
16- Al-Zubaidi (Muhammad Mortada Al-Husseini Al-Zubaidi 'dead in 1205 AH): The Bride's Crown from the Jewels of the Dictionary, Dar Al-Hidaya, Beirut, undated.
17- Ibn Saad (Muhammad bin Saad Ibn Muni' Abu Abdullah Al-Basri Al-Za'ari, dead in 230 AH): Great Glasses, Dar Sader, Beirut, undated.
18- Al-Samhudi: (Nour al-Din Ali, dead in 911 AH), Wafa al-Wafa in the news of the prophet's house, Arts of Press, Egypt, 1326 AH.
19- Ibn Sayyida: (Abu Al-Hassan Ali Ibn Ismail Al-Nahawii Al-Lugawii Al-Andalusii '189 AH): Allocated, first edition, investigation: Khalil Ibrahim Jaffal, House of Arabic Heritage Revival 'Beirut' 1415 AH.
20- Al-Shaybani :(Abu Al-Hassan Ali Ibn Muhammad Ibn Muhammad Ibn Abdul Karim Al-Shaybani dead in 189AH) Al-Kamil in History , investigation: Abdullah Al-Qadi , 2th edition , House of Scientific Books , Beirut 1415 AH
21- Al-San'ani: (Muhammad bin Ismail Al-San'ani, dead in 1182 AH) Ways of peace , explaining the attainment of ones goal , from the Evidence of Rulings, investigation: Muhammad Abdul Aziz al-Khouli, 4th edition, House of Arabic Heritage Revival, Beirut, 1379 AH.
22- Al-Tabari: (Abu Jaafar Muhammad bin Jarir Al-Tabari' dead in 310 AH): Al-Tabari's history that is called The History of the Messengers and Kings and what happened in the time of each of them, House of Scientific Books, Beirut, first edition, 1407 AH.
23-Ibn Abi Asim (Muhammad bin Abi Asim, dead in 300 AH): Asceticism, investigation: Abdul Ali Abdul Hamid Hamid, Al-Rayyan House for Heritage, Cairo, 1408 AH.
24- Ibn Abd Rabbuh (Ahmad bin Muhammad bin Abd Rabbuh Al-Andalusi, dead in 328 AH): The Unique Contract, investigation: Ahmed Amin Ahmed Al-Zein, Illuminations Series, Cairo, 2004 AD.
25- Ibn Asakir (Abu al-Qasim Ali al-Hassan bin Hibatullah bin Abdullah al-Shafi'i, dead in 571 AH): History of the city of Damascus, investigation: Muhib al-Din Omar bin Gharamah al-Amri, Dar al-Fikr, Beirut, 1995 AD.
26 – Al –Farahidi (Al – Khalil bin Ahmed Al – Farahidi in 328 AH) : Eye book : lnestigation : Muhammad Al – Makhzoumi and lbrahim Al – Samarrai , Al – Hilal Library ,Beirut , undated.
27- Ibn Kathir (Imad al-Din Abu al-Fida Ibn Ismail Ibn Omar Ibn Kathir al-Qurashi al-Dimashqi, dead in 774 AH): The Beginning and the End, Ma'rif Library, Beirut, undated.
28- Ibn Majah (Abu Abdullah Muhammad bin Yazid al-Qazwini, dead in 275 AH): Sunanh of Ibn Majah, investigation: Muhammad Fouad, Dar al-Fikr, Beirut, undated .
29- Malik (Ibn Anas, dead in 179 AH), Muwatta' Malik, investigation: Muhammad Abdel-Baqi, House of Arabic Heritage Revival, Cairo.

30- Mujahid (Mujahid bin Jabr al-Makhzoumi Abu al-Hajjaj, dead in 722 AH), Interpretation of Mujahid, investigation: Abdul Rahman al-Zahir, House of Scientific Publications , Beirut, undated.
31- Muslim (Muslim ibn al-Hajjaj Abu al-Hussein al-Qushayri al-Naysaburi, dead in 261 AH), Sahih Muslim, investigation: Muhammad Fouad Abd al-Baqi, House of Arab Heritage Revival, Beirut, undated.
32- Ibn Manzur (Muhammad bin Makram bin Manzur al-Ifriqi al-Misri' dead in 711), Tongue of Al-Arab, first edition, Dar Sader, Beirut, undated.
33- Ibn Hisham (Abdul Malik bin Hisham bin Ayyub al-Himyari al-Ma'afiri, ddead in 218 AH), Biography of the Prophet, investigation: Taha Abdul Raouf, 2th edition, House of Mountain, Beirut, 1411 AH.
34- Al-Waqidi (Abu Abdullah Muhammad bin Omar bin Waqid, dead in 207 AH):
A- Al-Maghazi Book, investigation: Muhammad Abd al-Qadir Ahmad Atta, first edition, House of Arabic Books, Beirut, 1442 AH/2004 AD.
B- Futouh Al-Sham, House of Mountain, Beirut, undated.
35- Al-Yaqubi: (Ahmad bin Abi Yaqoub bin Jaafar bin Wahb bin Wadh Al-Kitab dead in 292 AH): History of Al-Yaqubi, Dar Sader, Beirut, undated.

Second: Secondary references:
1- Ahmed Shafiq: Slavery in Islam, Translation: Ahmed Zaki, Cairo Library, Cairo, 1982 AD.
2- Bashari Latifa Ben Amira: Slavery in the Morocco from the Islamic conquest until the departure of the Fatimids, Ph.D , Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Algiers, 2007 AD.
3- Jabour Abdel Nour: Slaves-Womans, Dar Al-Maaref for Printing and Publishing, Cairo, undated.
4- Jawad Ali: Al-Mufassal in History of the Arab before Islam, 2th edition, University of Baghdad, 1413 AH / 1993 AD.
5- Sayyid Sabiq: (Sayyid Sabiq Abu Abdullah, dead in 1420 AH): Jurisprudence of the Sunnah, 3th edition, House of Arabic Book, Beirut, 1397 AH / 1977 AD.
6- Saadi Abu Habib: The jurisprudential dictionary "Language and Idiomatically, 'Dar Al-Fikr' Syria, 1419 AH / 1998 AD.
7- Al-Sharif: Mecca and Medina in pre-Islamic times and Prophet's era, Dar Al-Fikr, Cairo, 1405 AH / 1985 AD.
8- Abdul Salam Al-Tirmanini: Slavery in Past and Present, National Council Magazine for Culture, Arts and Literature, Kuwait, 1978 AD.
9- Fatima Kaddour Al-Shami: Slavery and slaves in ancient and pre-Islamic times and the beginning of Islam, first edition, Arab Renaissance House, Beirut, 2009 AD.
10- Nasser Makarem Al-Shirazi: Islam and the Liberation of Slaves, first edition, House of Nobles, Beirut, 1415 AH/1995 AD.
11- Hind Youssef Majeed: The Intellectual Contributions of Loyalists, Tikrit University Journal of Human Sciences, Issue 9, 2007 AD
12- Al-Wakil (Muhammad Al-Sayyid): Yathrib before Islam, Community House for Publishing and Distribution, Jeddah, undated.